بطاركة السريان
في القرن التاسع عشر

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܒܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠܐ ܩܕܡ ܒܝܡ̈ܐ
ܘܢܘܟܪܝܐ ܡܢ ܒܢܝ ܡܥܠܝܐ ܘܣܦܪܐ ܕܢܗܘܐ ܢܦܠ ܥܠܝ
ܠܟܠ ܠܗ ܣܦܪܐ ܟܠ ܢܗܘܐ ܗܘܐ ܠܗ ܣܦܪܐ ܒܝܬ
ܠܚܪ̈ܡܘܗܝ ܒܚܝܐ ܕܢܗܘܐ ܠܗ ܠܚܘܠܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

بطاركة السريان

في القرن التاسع عشر

ܦܛܪ̈ܝܪܟܐ ܣܘܪ̈ܝܝܐ ܒܕܪܐ ܬܫܥܣܪܝܢܐ

بقلم

المطران إفرام برصوم

بيروت عام ٢٠٠٢

المقدمة

بعد حمد الله،

إن القرن التاسع عشر يصنف بين القرون الأكثر تأخراً وانحطاطاً في تاريخ طائفتنا المجيدة. فيه تناقص عددنا بشكل رهيب حتى بلغ الثلاثمائة ألف نسمة تقريباً. يقيمون في مدن ماردين وديابكر والرها والموصل وسوريا وغيرها، وخلال الحرب العالمية الأولى وقبلها وبعدها ذهب ضحية المجازر العرقية حوالي المائة ألف نسمة فصار عددنا مائتي ألف نسمة فقط. لا مدارس راقية. ولا أديرة عامرة، وإنما جهل وخراب وفقر ودمار. والسبب يُعزى في رأيي إلى ثلاثة أسباب رئيسية هي:

١- ظلم واستبداد سلاطنة بني عثمان وموظفيهم .

٢- استبداد الاغاوات ورؤساء العشائر المحليين .

٣- هجمة الإرساليات الكاثوليكية الغربية ودعم حكومة فرنسا لهم .

١- ظلم واستبداد سلاطنة بني عثمان وموظفيهم :

أذكر على سبيل المثال أن السلطان عبد المجيد عندما جرت بين تركيا وروسيا عام ١٨٥٥ بعض المناوشات هدد السلطان عبد المجيد قيصر روسيا الأرثوذكسي بأنه إذا تأزمت الأمور بينهما أكثر فإنه سيهدر دم النصارى في مملكته وكانوا بالملايين لاسيما الاروام الذين على دين القيصر، والأرمن وسواهم من النصارى، إذن كانت الأقلية المسيحية في تركيا كرهينة لدى العثمانيين.

وحكاية الأرمن معروفة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (١٩١٥) وبالتحديد خلال الحرب العالمية الأولى عندما غرّر بهم الغربيون وزودوهم بالأسلحة وألّفوا لهم الأحزاب السياسية وأوحوا إليهم بأن يطالبوا تركيا بحكم ذاتي في مناطق تواجدهم وكانت مطامع الغرب معروفة بالرجل المريض تركيا، مدعين بأنهم أي سكان الولايات الأرمنية الست في شرقي تركيا تعود إليهم، وما آلت إليها

الأمور بعدما ثاروا معروف، فإنهم أُبيدوا بقسوة من قبل زعماء الأتراك والأكراد . ولم يفعل الغرب شيئاً وإنما كان يراقب كيف كانت تركيا تضعف داخلياً بحيث يسهل ابتلاعها، وهذا الطوفان جرف بقية الأقليات المسيحية في طريقه ومنهم السريان. يومها خسرنا ثلث الطائفة. وانطفأت سرج أديرتنا ومعاهدنا التربوية، وصار الناس يعطون الأفضلية للبقاء على قيد الحياة وتأمين الحد الأدنى من وسائل العيش الكريم لهم ولعيالهم. أما الذي نزحوا إلى البلاد المجاورة فإنهم بدأو من الصفر. وبارك الرب القطيع الصغير الذي ظن الغرب بأنه زال من الوجود. إلا أنه مازال ولله الحمد موجوداً يسبّح الرب في بيوته . ولم يكن السلطان وحده الظالم الوحيد وإنما ولاته ونوابه أيضاً فإنهم كانوا مجموعة من الفاسدين المرتشين يقلد أحدهم الآخر أعينهم على المسيحي الناجح والقادر وقصص القيصريات (الأسواق التجارية) معروفة. فلكم كانت فجأة تنهب ثم تحرق، ويبدأ المسيحي من جديد، وكان القادة الروحيون يحاولون جهدهم حمايتهم من الطامعين الظالمين فكانوا هم أيضاً يهانون بالسجن وفرض الخوة، ولا يخرجون من معتقلاتهم إلا بعد

دفع الرشوة المعروفة (كذا كيس، والمقصود بالكيس كمية من العملة الذهبية أو الفضية)، وكان الموقوف يتعرّض على الغالب «للفلق» العثماني الشهير، أي أن ترفع رجلاه المربوطتان إلى أعلى وينهال عليه العسكر العثماني السادي بعصي الخيزران الموجعة حتى تتفجر الدماء من قدميه، ثم يأمره الضابط بأن يقف عليهما فلا يقوى على ذلك إلا بصعوبة بالغة، ويطلب منه بأن يردد قائلاً : «باديشاهم جوق ياشا» ومعنى هذه الكلمات التركية : «عش طويلاً يا مليكي» فيرددها البائس وأنفاسه تتقطع، وهو في باطنه يردد عكس ذلك تماماً، وتمرّ أشهر قبل أن تشفى رجلاه المتقرحتان، وتتكرر المعزوفة الشيطانية في كل مكان، فقد حكى المرحوم والدي في مذكراته باللغة التركية بأن عائلة برصوم جاءت في الأصل من منطقة كركر بولاية ملاطية الشهيرة والتي كان فيها وحدها أكثر من خمسين كنيسة سريانية، وكان جدودي يعملون في صنع وتشغيل الطواحين المائية، وكان يدعى واحدهم بالتركية "دكرمنجي" أي الطحّان، وقد جنت العائلة ثروة من وراء ذلك، ولم يرق ذلك طبعاً للآغا المحلي، فافتعل حريقاً في أحد بيادره واتهم في ذلك أحد أبناء جدي

فاستدعاه وقال له : «أن أبنك فلان حرق آحد بيادرنا ويجب أن تعوّض عن الخسائر». فأجابه جدي: «أنا حاضر وآمل أن لا يتكرر ذلك مرة أخرى»، وسأله عن المبلغ فقال الآغا : أربعون ليرة ذهبية، فقال جدي بل خمسون مع الاعتذار لكم. وجمع جدي العائلة الكبيرة وحكى لهم ما جرى له مع الآغا قائلاً : اليوم خمسون ليرة وغداً خمسمائة وهذا يعني بأننا عبيد وعمال عند الآغا فلان. وهاجر إلى بلدة اديمان المسماة حصن منصور، ومنها هاجر والدي إلى سوريا. وهذا ما حصل مع معظم العائلات المسيحية المنكود حظها . وتناقص عدد النصارى في بلاد بني عثمان وبعد أن كان الاروام والأرمن والسريان وسواهم من الاقليات المسيحية يشكلون عدداً لا بأس به من سكان البلاد فإن العدد تناقص مع الأيام حتى بات وجودهم شبه رمزي اليوم في تلك البلاد. فقد حكى أحد المستشرقين بأن عدد سكان استامبول وحدها كان في بداية هذا القرن بحدود السبعمائة ألف نسمة منهم أربعمائة ألف من النصارى. وقد سألت عام ١٩٧٥ بطريرك الاروام ديمتريوس: كم عدد الاروام في استامبول اليوم ؟ فأجابني أنهم بحدود الستة آلاف في تركيا

كلها وهذا العدد مرشح مع الأيام للنقصان، وقس على ذلك باقي الطوائف من أرمن وسريان وسواهم.

٢- إذن عشنا تحت رحمة الاغوات والزعماء المحليين :

وساروي لكم على سبيل المثال لا الحصر ما جرى لبعض قادتنا الروحيين مثل المفريان العالم والقديس مار شمعون المانعمي الذي شاء سؤ طالعه أن يعيش حيث كان أحد اغوات الأكراد المدعو «عبدال» آغا يبسط نفوذه الثقيل، وكان أحد مرافقيه من السريان وأسمه كلو (دود الخل) أحب فتاة تبين بأنها أشبينته فمنعه المفريان من الاقتران بها، فشكاه إلى عبدال آغا الذي استدعى المفريان شمعون وطلب منه بأن يسمح لكلو الشقي بأن يقترن من اشبينته فرفض المفريان بجرأة هذا الطلب فاعتبر عبدال هذا الرفض قمة التحدّي لسلطته وقتل المفريان. هذه قصة من آلاف القصص التي تنطوي عليها كتب التاريخ السرياني الحزين، منها أيضاً وأيضاً قصة الأسقف كوركيس الآزخي الذي قتله بدرخان بك أيام البطريرك الياس الثاني (١٨٤٧ +) مع اثنين من كهنته وثمانية من اختيارية الجماعة ضرباً بالعصي والخ . . . .

٣- وكأن هذا لا يكفينا فجاءت إلى المنطقة الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية (مسز فلنكا) وبدأت تنهش في ما تبقى من جسدنا الهزيل وذلك بمساعدة حكومة فرنسا الكاثوليكية، وفي سجلات مديرية الأشغال في قنصلية حلب الفرنسية عام ١٦٨٣ نقرأ هذه العبارات : «إن السريان يؤلفون أكثرية كبرى في مدينة حلب، وكثيرون منهم تعلموا أسرار ديانتنا من مرسلي أوربا فاتحدوا مع الكنيسة لكنهم يقاسون أشد المحن لوجودهم تحت حكم أساقفة من الهراطقة (كذا) ولايجرأون على البوح بديانتهم الحقيقية، لذلك فان «فرنسوا بيكه» قنصل فرنسا في حلب في ذلك العهد عزم مع الآباء المرسَلين الذين كانوا هناك أن يستحضروا من لبنان مطراناً أسمه اندراوس (اخيجان)[١] كان قد ترك بيئته السريانية ولجأ إلى بطرك الموارنة في جبل لبنان ليتبع معهم مذهب الكنيسة الرومانية، هذا الرجل أقام على ممارسة الديانة الكاثوليكية حتى أن بطرك الموارنة رسمه كاهناً، وفيما بعد رقّاه إلى درجة الأسقفية إلخ . . .

---

(١) صار أول بطرك للسريان الكاثوليك عام ١٦٢٢ وجاء من بعده بطرس شاهبادين ، ميخائيل جروه ، ميخائيل ، سمعان زورا ، بطرس جروه، انطون سمحيري، فيلبس عركوس، جرجس شلحت، بهنام بني، افرام رحماني، جبرائيل تبوني، انطون حايك ، موسى داود ، بطرس عبدالاحد .

«فرنسوابيكيه» هذا لعب دوراً في كثلكة سريان حلب وذلك بتحريض والي حلب العثماني على فرض ضريبة باهظة على السريان، وكان «بيكه» يعلم سلفاً بأنهم سيلجأون إليه لطلب الحماية والوساطة وهذا ما حصل فكان جواب بيكه : لا أستطيع أن أفعل شيئاً كونكم غير كاثوليك . فكان أن كثلك سريان حلب ، ونجوا من الضريبة الكبيرة فيما عدا أسرة عازار التي دفعت ما عليها لأنهم كانوا من الأثرياء (تجار حديد) . ومَثل آخر، عام ١٨٩٥ خلال مذابح دياربكر لجأ المطران عبدالله سطوف السرياني إلى القنصلية الفرنسية لأن حياته كانت في خطر، فقال له القنصل لا أستطيع أن أفعل لك شيئاً لأنك لست كاثوليكياً، إن أنت تعهدت خطياً بأنك انتميت إلى الكثلكة أستطيع أن أحميك وأقبلك في القنصلية وأدافع عنك. فقدم المطران عبدالله تعهداً خطياً بأنه كثلك ، ونجا من الموت، وعندما زالت المحنة عاد إلى مذهبه الأول بل وأنتُخب بطريركاً، وقد تكررت قصص من هذا النوع في أماكن أخرى كثيرة، وقصص الاستيلاء على الأديرة والكنائس في الأبرشيات السريانية بمساعدة فرنسا

والمرسلين الكاثوليك معروفة، وكانت الدولة العثمانية تقف إلى جانب من يدفع أكثر .

في هذا الكتاب « بطاركة السريان في القرن التاسع عشر» الذي اقتبست معظم نصوصه من كتاب البطاركة بالسريانية للربان يوحنا دولباني الذي كتبه في القدس سنة ١٩٢٩ وطبع عام ١٩٩٠ . في مطبعتنا في دير مار افرام بهولندا. ستجد الحقائق التي ذكرتها أي ظلم سلاطنة بني عثمان والاغوات وهجمة الكتلكة واضحة تماماً، وذلك من خلال سير حياة البطاركة الستة الأبرار الذين تحملوا بصبر عجيب كل الضيقات لأنهم شاؤوا أن يسيروا في الطريق الضيق طريق الجلجلة وانعكاسات ذلك على كنيستنا وامتنا. نفعنا الرب بأدعية الصلحاء منهم وجعل الجنة مسكنهم .

البطريرك متى

+ ١٨١٧ - ١٧٨٢

هو متى ابن الشماس يشوع المارديني ، انتسب إلى دير الزعفران وصار فيه كاهناً ورئيساً لسنوات عديدة ، وعندما اعتلى عرش البطريركية المفريان جرجس سلفه وخلا كرسي مطرانية الموصل انتخب المذكور ليصير مطراناً لهذه الأبرشية عام ١٧٦٨ ودعي كيرلس واشتهر بجهاده وصلاحه لا سيما ضد الفرقة المتكتلكة التي عملت على نفيه من مركز ابرشيته ونجحت . وسار معه المدعو جرجس رسام المتكتلك والمتعاون مع الرهبان الغربيين ، وقال للمطران في الطريق ، هل عرفتني؟ أنا من سعى لإخراجك من بلاد آثور[١] ، فأجابه المطران متى : ما كنت أعرفك أما الآن فأعرفك . وعاد رسام إلى زمرته واحتفلوا بنفي المطران متى

---

١ المقصود ببلاد آثور هنا منطقة الموصل وضواحيها .

بالطعام والشراب ، وإذ عادوا إلى بيوتهم ليلاً فوجئ رسام باحتراق بيته بالكلية ، وبعد سنوات ارتقى المطران متى عرش البطريركية وجاء إلى الموصل وكان رسام قد ذل وافتقر إلى لقمة العيش، وتقدم من البطريرك يريد تقبيل يده ، فأعطاه البطريرك يده وطلب من مرافقيه أن يساعدوه وأنتشر هذا الخبر في المدينة عن الرجل الصالح الذي يسامح من يسيء إليه، ولهذا عندما رقد البطريرك جرجس طُلب منه أن يذهب ويستلم البطريركية ، إلا أنه وجد المدعو ديونيسيوس ميخائيل جروه مطران حلب قد أختلس الدرجة البطريركية عن طريق المداخلات غير الشرعية من قناصل فرنسا والرشاوي المدفوعة من المرسلين الكاثوليك لبعض الحكام الضعاف النفوس، وتمكن من الحصول على أمر يسمح له بأن يتبطرك وقد ساعده في ذلك أربعة مطارنة هم قورلس إبراهيم نعلبند مطران حمص وحماه ، وايوانيس نعمه الله الصدي مطران دمشق ، وبشارة مطران أورشليم ، واثناسيوس موسى الصباغ مطران طرابلس، اجتمعوا جميعاً في دير الزعفران ورسموه حسب زعمهم بطريركاً في ٢٨ كانون الثاني عام ١٧٨٢ في نفس الوقت الذي وصل فيه المطران متى

الذي بذل جهداً كبيراً لإعلان زيف جروه وألاعيبه إلا أنه لم ينجح ، فنصحه زعماء ماردين مع مؤمنيها بأن يذهب إلى قرية «قلث» وأخبروا آباء طورعبدين بحقيقة الأمر فاجتمعوا كلهم في دير مار يوحنا ورسموا المطران متى بطريركاً شرعياً في كانون الثاني من السنة ذاتها في كنيسة الدير ، وبعد الرسامة شاغب جروه كثيرا وحاول الوصول إلى الشرعية بالرشاوي والمداخلات الأجنبية .

في هذا الوقت كان يوجد في دير الزعفران راهبة عوراء العين تمكنت بإشارة من جانب البطريرك متى من الحصول على جميع الأوراق والفرمانات الرسمية المحفوظة في خزائن دير الزعفران، وجاءت بها كلها إلى البطريرك الشرعي متى في قلث الذي كلف أخاه المطران عبد الأحد مع القس ايليا كاهن رعية قطربل وراهبين وكهنة بالسفر إلى استامبول . أما البطريرك متى فإنه بعد ارتقائه كرسي البطريركية رسم مطرانين واسقفاً وانتقل إلى بلدة مذيات منتظراً صدور فرمان البطريركية، وكانت الشيعة الكاثوليكية قد تقدّمت بشكايات للدولة على البطريرك ومحازبيه مدّعين بأنه ذهب إلى منطقة طورعبدين ليثير العصاة ضد الدولة

وانطلت الحيلة لدى الحكام لا سيما وانهم كانوا أميل إلى الكاثوليك فاستأنفوا الأمر إلى ديار بكر ، فكان أن قبض الوالي على البطريرك متى مع أثني عشر مطراناً وراهباً وأمر بإعدامهم ، وفي نفس الوقت أشاروا إلى الرشوة بأسلوبهم المعروف أي أن يدفعوا ستة آلاف كيس من الفضة، وإذ بدأ المؤمنون بجمع الفدية جاء من يخبرهم بأن فرمان السلطان قد وصل فعمت الفرحة طرف البطريرك متى ومن معه وجاؤوا إلى ماردين وقدموا الفرمان إلى الوالي الذي تلاه في دار الولاية وظهر زيف ميخائيل جروه الذي اختلس البطريركية لحين، بالرشوة والنفوذ الأجنبي ، فشاء الوالي أن يقبض عليه ويعاقبه إلا أن البطريرك متى عفا عنه قائلاً للوالي لعله يتوب ويعود إلى رشده ولا ينتحل صفة البطريرك بعد أن تأكدت رسمياً للبطريرك متى فأمر الوالي بنفي جروه والذين معه إلى الموصل فبغداد فبلاد كسروان في جبل لبنان حيث لم يكن للعثمانيين نفوذ أو سلطة ، على أن جروه كان قد جرد دير الزعفران من آنيته الكنسية الثمينة ومن الكتب التاريخية القديمة وسلمها للكاثوليك الذين جاؤوا بجانب منها إلى دير الشرفة والباقي أرسلوه إلى روما. في

هذا الوقت أرسل البطريرك متى شقيقه مطران آثور لقضاء بعض الحاجات في منطقته فقدم المتكتلكون لرجال البادية رشوات فتصدوا للمطران وقتلوه بالسم .

وفي عام ١٧٨٩ بارك البطريرك الميرون المقدس للمرة الأولى ورسم بشارة البدليسي مفرياناً للمشرق ، وسنة ١٧٩٦ قدس البطريرك متى الميرون للمرة الثانية، وفي عام١٨٠٢ حصل ضيق شديد على قرية بنابيل القريبة من دير الزعفران، إذ قبض الحاج حسن آغا على ١٤ رجلاً من قبيلة الداشية وقتلهم في قلعة ماردين كما قتل ١٨ رجلاً من بنابيل ممن كانت لهم علاقة بعشيرة الداشية، وقبض على ٨٥ شخصاً بينهم نساء وأطفال تمهيداً لقتلهم وغار البطريرك متى وافتداهم بـ ٣٥ كيساً من الفضة وهذه المبالغ جمعها من بيع بعض الأوقاف من بيوت ودكاكين، وإذ لم تكفِ الكمية فكر في بيع بعض الأواني الكنسية الذهبية والفضية، فتقدم المؤمنون وجمعوا ما تبقى منها وتركوا الآنية المقدسة في مكانها . وفي ٧ تشرين الأول عام ١٨٠٣ في عيد مار سرجيس وباخوس رسم البطريرك المطران يونان الذي من منطقة آثور مفرياناً للمشرق وفي ٢٦

تشرين الأول رسم خمسة مطارنة هم : غريغوريوس جرجس الحلبي لدمشق ، قورلس ايليا المارديني مطراناً عاماً ، واثناسيوس نعمه الصدي لدير والدة الإله في منطقة الهتّاخ وديونيسيوس شمعون الموصلي مطراناً عاماً، ويوليوس عبد الأحد البنابلي لدير ما ابحاي وكركر . وفي عام ١٨٠٦ قدس الميرون للمرة الثالثة . وفي شهر تشرين الأول من هذه السنة رسم البطريرك متى خمسة مطارنة كان أحدهم المطران بهنام وكان ابن اثنتين وعشرين سنة كان قد جاء به من بلاد آثور إلا أنه كان قد تشرّب الأفكار الغربية إذ كان قد نشأ بتوجيهات الكاثوليك، وفي عام ١٨٠٩ أبعد البطريرك المفريان الياس الذي من منطقة بلاد آثور وكذا مطران القدس الياس، وقدم المطران بهنام وسلّمه كل المسؤوليات المتعلّقة بالمفريان ومطران القدس، وأخذه معه إلى ديار بكر حيث كان يعيش رجلان غشاشان ومفسدان وهما يوسف يشوع وميخائيل فتحو، هذان الرجلان كانا يصليان سراً عند الكلدان ويتظاهران بأنهما من جماعتنا ويريدان خير امتنا بينما في السر كانا يخططان لزرع البلبلة في الكنيسة التي تربيا فيها، وإذ أحسا بأن المطران بهنام يميل

إلى ما يميلان إليه مع الطبيب دانيال حنا والياس شادي الماردينى شكلوا جميعاً رابطة للخراب وربما جاؤوا إلى البطريرك متى وقالوا له لقد شخت والأفضل أن تسلم شؤون البطريركية للمطران بهنام الذي هو بمثابة ابنك وتتصل بالسلطان عساه يزوده بفرمان يخوله التصرف بشؤون البطريركية، وظلوا كذلك حتى اقنعوا البطريرك متى بالكتابة إلى السلطان، فجاءه الرد سلباً من السلطان قائلاً : ما دمت على قيد الحياة فإن فرماناً من هذا النوع لن يصدر ، عندها تظاهر البطريرك بالمرض الشديد وأنه يكاد يموت وأعاد الكتابة إلى السلطان وذلك من دون علم آباء الكنيسة فجاءه الجواب هذه المرة بالموافقة على تسمية المطران بهنام بطريركاً فرسمه عام ١٨١٠ بطريركاً في كنيسة الأربعين شهيداً ،

ولم يعجب هذا الأجراء المفريان يونان الذي أتصل بآباء طورعبدين وأقنعهم بفساد هذا الأجراء، لا سيما وأن المطران بهنام بدأ يستبدّ برأيه، ولو أن المقام الأول كان لغاية ذلك الوقت للبطريرك متى . وعندما انتهت هذه الأخبار إلى المطران جرجس الحلبي مطران دمشق ، سافر فوراً إلى ديار بكر وهناك سمع بأن المدعو البطريرك بهنام أنتقل إلى

ديار شيروان فذهب إليه وفاتحه بكل الأمور فوجده فعلاً يميل إلى الأفكار الغربية ويخطط لنسف الإيمان المستقيم إيمان الكنيسة السريانية وبعد أن مكث عنده عدة أيام جاء المطران جرجس إلى دير الزعفران حيث كان البطريرك متى وبعض الآباء، وقد رأى الحضور أن يفاتحوا البطريرك متى بما يتبادر إلى أذهانهم فقال لهم: أنا أيضاً ساورتني الشكوك بخصوص بهنام هذا ، فلنذهب إلى البشيرية ونعقد هناك مجمعاً ونستدعي بهنام لاستجوابه ، وفي صبيحة اليوم التالي سافر البطريرك مع الآباء إلى دير مار قرياقس في البشيرية واستدعوا بهنام وكان الوقت صوم عيد الميلاد، واستجوبه الآباء وكان عددهم اثني عشر حبراً فأنكر بهنام في البداية ما نسب إليه ثم أعترف، فقطعه الآباء وحرموه ، وعادوا إلى ماردين ، وإذ رأى بهنام بأنه حوكم عدلاً من الآباء والشعب بدأ يسترحم ويقدم الطلبات لرفع الحرم عنه فأشفق عليه البطريرك الحليم متى وبقية الآباء وحلوه من حرمه إلا أنهم اشترطوا عليه أن يذهب ويخدم في منطقة شمشم ما دام البطريرك متى على قيد الحياة ، فقبل بهذا

الشرط، وقد تنبأ عنه البطريرك أمام أحد أصحابه وهو ابراهيم هداية بأنه لن يره ثانية، وفعلاً وبينما كان بهنام خارجاً من كنيسة دير السيدة العذراء سقط في واد أمام بوابة الكنيسة وتحطمت عظامه وأسلم روحه بيد الرب الذي خانه فعاقبه على ذلك أشد عقاب .

أما البطريرك متى فإنه أرسل في طلب المفريان يونان من طورعبدين فخف إليه في شهر حزيران وفي السادس من آب رسمه بحضور أربعة أحبار بطريركاً ، وأما البطريرك الجديد فإنه رسم المطران الياس الذي من آثور مفرياناً للمشرق، وكرّس المطران عبد الأحد البنابيلي حبراً للقدس ، ومنح المطران جرجس الحلبي مطران دمشق كرسي حلب . وبعد هذا التاريخ بعشرين يوماً أي عام ١٨١٧ رقد البطريرك متى بالرب بشيخوخة صالحة وذلك بعد خمس وثلاثين سنة من الخدمة المخلصة والتضحيات والأتعاب ، وبعد الصلاة عليه في كنيسة الأربعين شهيد حملوه بزياح كبير إلى دير الزعفران حيث دفن قرب مدفن البطريرك جرجس الذي من آثور وهو بالإضافة إلى أتعابه وتضحياته ، بنى عشر قلايات بديرالزعفران وقنطرة تشرف على حوش

الغنم . ويقال بأنهم وهم يحملون جثمانه الطاهر من ماردين إلى دير الزعفران، رآه قوم يمد يده اليمنى ويبارك جمهور المشيّعين .

البطريرك يونان الموصلي

١٨١٧ - ١٨٢٣ +

عهده كان الأقصر في سلسلة بطاركتنا العظام إذ لم يتجاوز عهد رئاسته البضعة أشهر ، وقد تخلّى عن البطريركية وعاش سنواته الأخيرة ورقد في دير مار ايليا بطور عبدين . وليس في دير الزعفران وذلك عام ١٨٢٢ هذا وقد قال دولباني في كتابه بطاركة انطاكية (ܡܫܢܝܢܘܬܐ ܕܦܛ ܘܢ ܗܘ ܠܐ ܡܬܘܣܦܐ). رسامة البطريرك يونان غير الشرعية) ربما لأن البطريرك متى رسمه وهو بعد على قيد الحياة . والمعروف عن البطريرك يونان أنه كان رجلاً تقياً ومستقيماً وبسيطاً وطاهراً، إلا أنه كان ضعيفاً في إدارته . من ذلك أنه بعد رسامته باسبوعين كلف أحد الشخصيات الإسلامية أن يذهب إلى استامبول ويأتي له بفرمان السلطان لإعلان بطريركيته إلا أن هذا الرجل لم يوفق في عمله هذا بل على

العكس نفته السلطة العثمانية إلى جزيرة رودس وتوفي هناك ولم تُعرف أسباب ذلك، هذا العمل وغيره أثار استياء أهل ماردين وسواهم ووصلت الأخبار إلى مطران دمشق مار غريغوريوس جرجس فجاء فوراً إلى دير الزعفران وتأكد من ضعف إدارة البطريرك يونان ، وفي الأول من شهر آب عام ١٨١٨ توجه إلى استامبول مزوّداً بالأوراق والمستندات اللازمة بالنسبة إليه وقصد السلطان طالباً فرمان البطريركية وقُبل طلبه وصدر الفرمان الذي فيه يعلن رئاسته على الكنيسة السريانية بأكملها، وفي التاسع من تشرين الأول توجه إلى دياربكر . أما البطريرك يونان فإنه عندما سمع هذه الأخبار توجّه إلى دير مار ايليا الذي بقرب قرية حباب بطور عبدين وعاش فيه كراهب بسيط لغاية عام ١٨٣٢ وكان قد هيأ له قبراً مع كمية من البخور تدلق على جثمانه بعد وفاته ، ويوم ٢٣ كانون الأول وخلال صوم الميلاد المبارك وفيما كان البطريرك يونان راقداً بوداعة الحملان على صدر الراهب يعقوب الذي تبطرك فيما بعد ، وبينما كانوا يرتلون ترنيمة « ܒܢܘܗܪܟ ܡܪܝܐ ܢܚܙܐ ܢܘܗܪܐ بنورك يا رب نعاين النور» ، أشرق نور سماوي على البطريرك وابيضّ جسده كالثلج وصار شبيهاً

بجسـد الرب على جـبل تـابُور أثناء تجلّيـه، وتقـرر أن يدفن جسده الطاهر يوم الأحـد الذي بعـده ، ريثمـا يجـتمع الآباء كلهم المتـواجدون في منطقـة الجـبل ، وجنّزوه بحسب طقسنا المهيب ووضعوه في القبـر الذي كان قد أعدّه لنفسه ، رحمه الله ونفعنا بمقبول دعاه .

البطريرك جرجس الخامس الحلبي

+ ١٨١٩ - ١٨٣٦ +

هو جرجس ابن المقدسي يوسف سيّار الحلبي ، وكان شهيراً ببهاء طلعته وطول قامته وبمواعظه البليغة وإدارته الحكيمة وان كانت تتسم بالقساوة أحياناً، أنتسب إلى دير الزعفران وارتسم مطراناً لدمشق باسم غريغوريوس بيد البطريرك متى ، فاهتم بإعادة إعمار دير مار بهنام وأوقافه وسحب المياه إليه، وسبق أن تحدّثنا عن غيرته ومآثره أيام البطريرك بهنام وكان قد حضر رسامة البطريرك يونان غير الشرعية[١] .

بعد حصوله على فرمان السلطان إثر إبرازه الأوراق الرسمية المطلوبة منحه الفرمان الشاهاني وفيه يمنحه الرئاسة على الأمة السريانية بكنائسها وأديرتها ومؤسساتها

---

١ ربما لأن البطريرك متى رسمه وهو بعد على قيد الحياة .

وذلك في التاسع من تشرين الأول عام ١٨١٨ فغادر على الإثر استامبول إلى ديرباكر، وفي هذه المدينة قابل واليها فالبسه الحلّة الشاهانية وصار موضع احترام وتقدير كبيرين ومكث في دياربكر لغاية شهر آذار، وخلال إقامته هذه بنى صالة كبيرة قرب الكنيسة، وأنطلق إلى دير الزعفران الذي كان قد تُرك لفترة طويلة، وبعد وصوله بأيام ثلاثة قابل والي ماردين الذي كرّمه كالعادة بعد الاطلاع على فرمانه السلطاني ، وصعد إلى دير الزعفران مع الآباء ، فرسموه بطريركاً وذلك في ١٦ آذار ١٨١٩ وكان حاضراً المفريان الياس الموصلي والمطران عبد الأحد البنابلي مطران أورشليم والمطران عبد الله الرهاوي الذي كانت شهرته قد طارت بالقداسة والمطران الياس هندو الذي من بلاد آثور والمطران يوحنا يشوع المارديني والأسقف افرام راعي أبرشية خربوط وعدد كبير من الرهبان والكهنة ووزع الهدايا على الزعماء والوجهاء وزوّد الدير بالآنية النحاسية ، وأعاد الديون التي كان البطاركة متى وبهنام ويونان قد جمعها وكانت تساوي أكثر من ستة وعشرين ألفاً من الأكياس ، وبعد أيام عاد إلى ماردين وكان فيها يومها رجل متنفذ أسمه الياس شادي

كاتوليكي أرمني الجنس وكان وكيلاً عن ميخائيل الحلبي الذي صار بطريركاً للسريان التابعين للبابا لوقت من الأوقات ، وكان قد طلب من البطريرك الشرعي أن يسمح لميخائيل هذا أن يسكن في كنيستنا بحلب فلم يسمح له البطريرك ، فاتصل الياس شادي هذا بالوالي أحمد آغا ووشى بالبطريرك فألقاه في السجن وذلك من دون تحقيق ولا تدقيق ومكث فيه أربعة أيام خرج بعدها كالعادة بعدما دفع أربعين كيساً وذلك في ١٤ آب عام ١٨١٩ وبدأ يتفقّد القرى، وأراد زيارة دير مار قرياقس وفي الطريق خرج عليه أكراد لصوص بمعرفة شادي الخبيث وجردوه من كل ما عنده وذلك قرب قرية قنطرة وإذ سألوه عما حصل أجاب :

أنا أعلم وقنطرة تعلم . وذهبت مثلاً عبارة «قنطرة تعلم» ووصل ليلة عيد الميلاد إلى دير ما قرياقس ، ومن هذا الدير رفع طلبين اثنين للسلطنة فيه يبسط ظلامته وكيف أنه أُهين بالسجن أربعة أيام وأن الوالي أحمد أخذ منه الرشوة ، فخرج أمر من السلطان موجّه إلى والي بغداد داود باشا ذلك لأن ماردين كانت خاضعة إدارياً لبغداد في ذلك العهد وفي هذا الأمر أن يرد والي ماردين ما أخذه من

البطريرك مع الاعتذار وكان كذلك ، وتعزّى البطريرك بعض الشيء إذ أحس بأن اعتباره قد رُدّ . وفي عام ١٨٢٠ رسم مطرانين هما الربان كبريال ابن يعقوب جولجي الآمدي مطراناً لبدليس باسم قورلس ، والربان عبد المسيح حنا الآمدي مطراناً عاماً باسم اثناسيوس، وكانت الضيقات تنهال عليه من جميع الجهات فيعالجها بصبرٍ كثير عُرف به بطاركتنا العظام والقديسون ، فقد كتب رسالة عامة موجهة إلى جميع أحبار طورعبدين فيها يدعوهم إلى لقاء في كنيسة مارتشموني في مذيات في تموز من عام ١٨٢١ بحثوا في أن يتّحدوا اتحاداً عضوياً قوياً بالكرسي الانطاكي ، ولا يرسموا اعتباراً من تاريخ الرسالة العامة لا بطاركة ولا مفارنه أو مطارنة لطورعبدين ، وإذا هم اضطروا إلى ذلك عليهم أن يذهبوا لعند البطريرك ويُرسموا هناك ، كما قرّروا بأن تكون لكل أبرشية حدودها فلا يتجاوز مطران حدود أبرشية أخيه، وأن تُحفظ حقوق البطريرك وزدقه، ووقعوا جميعاً على هذه المقررات وكان فعلاً اجتماعاً هاماً بل منعطفاً ناجحاً في تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية .

وبعد هذا عاد ثانية إلى البشيرية واهتم ببناء دير مار يوحنا الإنجيلي المعروف بدير الخزانة ، وجاء إلى ماردين وبدأ يهتم بالكنائس والأديرة ، وجعل المطران الياس يعيش في دير والدة الآله بعد أن أعطاه جميع احتياجاته. وفي عودة إلى الوراء فان البطريرك عندما سُجن في قلعة ماردين فان الخبيث والعميل الياس شادي أتصل بجميع المتكتلكين وطلب منهم بأن يستولوا على جميع الأديرة والكنائس في سوريا لأن البطريرك سيُقتل قريباً ، وهذا ما حصل حتى أن بعض الخونة من أمثال سليمان لطفي حكيم ونعمه ونقولا شيحا تجاسروا واستولوا على الكنيسة في ماردين والأغراض الخاصة بالبطريرك ، حتى أنهم طردوا أخته من الدار التي كان قد بناها من ماله الخاص، وعندما انتهت هذه الأخبار إلى البطريرك أرسل الراهب اسحق وتمكن من الحصول على أمر بإعادة كل شيء ، كما أنه طلب من المطران يلدو الآمدي بأن يذهب إلى سوريا مندوباً عنه وذلك للمحافظة على كنائسنا واسترجاع ما أُخذ منها من دون وجه حق، واصطحب معه مطران النبك الياس الموصلي ونزلوا إلى دمشق وتمكنوا بعد صعوبات كثيرة من

استرجاع الكنيسة ودير مار بهنام ولو بصورة مؤقتة وبلغت
خسارتهم ٢٥ كيساً وإذا هم ضموا ما صُرف في استامبول
لبلغت الخسائر الخمسين ألف كيس. وفي كانون الأول من
عام ١٨٢٣ وبعد عودة المطران يلدا إليه ، قرر الذهاب إلى
دمشق حيث قرر إيفاد المطران اثناسيوس عبد المسيح ومعه
الرهبان اسحق وعبد الأحد إلى الهند بناء على رغبة
المطران كوركيس الهندي حتى يزوروا كنائسها ويثبتوهم على
الإيمان المستقيم ويجمعوا منهم الحسنات والتقدمات ورسم
عام ١٨٢٥ الربان يعقوب ابن الحاج فارس الخوري مطراناً
لكرسي مار بهنام بدمشق وعاد على الإثر إلى بيث نهرين
وفي طريقه زار الرها ثم دياربكر وأختار كيرلس كبريال
لرئاسة دير مار مرقس بالقدس وفّوض إليه جمع التبرعات
لإعادة تأهيل هذا الدير التاريخي، وفي تموز عام ١٨٢٥
رسم الربان يوسف ابن الشماس يشوع المارديني مطراناً
لماردين وضواحيها وسماه اثناسيوس ، وفي الخامس
والعشرين من تشرين الأول من السنة ذاتها رسم الربان
كبريال ابن عبد المسيح ترزي مطراناً لدير مار قرياقس في
منطقة البشيرية وسماه ديونيسيوس . وفي بداية عام

١٨٢٦ رسم في كنيسة دياربكر مطرانين هما الربان عيسى عبدالله الموصلي مطراناً على دير مار مرقس بالقدس وسماه غريغوريوس والربان انطون ابن الياس بلو الموصلي مطراناً عاماً وسماه يوليوس ، وفي ١٨٢٦/٩/٢٦ رسم الربان ابراهيم قدسي الذي من القدس مطراناً لأبرشية مار ابحاي وسماه طيمثاوس . وفي هذه السنة قَدم من الموصل إلى ماردين كاهن متكتلك اسمه ميخائيل وبدأ يشاغب ويبث التعاليم الغربية الغريبة . فانحاز إليه بعض البسطاء فكتب إليهم البطريرك في ١٨٢٧/٩/٢ وطلب منهم بأن يحترسوا من هؤلاء ولا يخالطوهم ولا يزوروا دار (الباتري) التي كان يصلي فيها ميخائيل جروه . وفازوا ببعض من كانت نفوسهم هزيلة وتبعوهم . وكان بينهم مع الأسف المطارنة انطون وعيسى الذين كان البطريرك يشك بصحة إيمانهم . وفي السابع من نيسان عام ١٨٢٧ صلى هؤلاء في كنيسة الأرمن فكتب لهم البطريرك ليرعووا فرفضوا آمره فحرمهم واضطر إلى السفر إلى استامبول ويقابل المراجع العليا وتمكن من الحصول على أمر بوجوب إطاعة المطارنة وسائر الاكليروس للبطريرك باعتباره المرجع الأعلى للطائفة ، ونزل إلى

دياربكر ومن هناك أرسل الأوامر إلى والي بغداد ، ذلك لأن ماردين كانت خاضعة حتى ذلك الوقت لبغداد ، ووصلت الأوامر إلى والي ماردين الذي أرسل في طلب المطارنة انطون وعيسى وطلب منهما أن يخضعا للبطريرك وإذ رفضا ذلك أمر بسجنهما في سجن القلعة وبعد مكوثهما مدة تدخل القاصد الرسولي وسعى للإفراج عنهما بعد أن دفع ثمانية آلاف فرنك فرنسي ، أما المطران عيسى فإن الحاكم سلمه مع ثلاثة من أتباعه الكهنة إلى البطريرك فسجنهم في دير الزعفران، وأما المطران انطون فإنه ذهب إلى استامبول وبمساعدة السفير الفرنسي والبطريرك بطرس جروة الكاثوليكي فإنه تحرر وحصل على أمر رسمي بذلك وحضر إلى ماردين واستولى على كنيستي الأربعين ومارتشموني وكان للبطريرك وقتها في القرى يتفقد المؤمنين ويجمع منهم الزدق، وإذ سمع بهذه الأخبار عاد وجمع المطارنة القريبين فحضروا إلى ماردين وقدموا كالعادة للوالي الرشوة فأعاد الكنيستين إليه، فقدم المطران انطون للوالي رشوة مماثلة إلا أن الوالي تلكأ في إعادة الكنيستين ، فاستأجر انطون وأتباعه بيتاً وبدأوا يصلون فيه، أما البطريرك فإنه عاد إلى

طورعبدين محتملاً كل هذه الوقائع الأليمة بصبر وثبات وقد أضيفت إلى أحزانه أن المطران عبد المسيح الذي كان قد أوفد إلى الهند عاد إلى دياربكر ورفض مقابلة البطريرك بل زاد على ذلك أنه أراد أن يستولي على البطريركية بأن زوّر بعض الوثائق وأرسلها إلى استامبول محاولاً الحصول على فرمان. فدعا البطريرك المطارنة القريبين إلى دير الزعفران وبحثوا في أمر المطران وإذ ثبت عصيانه فإن البطريرك حرمه مع الراهب بشاره مرافقه في تشرين الأول عام ١٨٣٠ وقرىء حرمانه في الكنائس وألقى القبض عليه وسجنه، وإذ ندم وتاب فإن البطريرك حله وعاش حتى أيام البطريرك يعقوب ودفن في كنيسة الكعبية .

وفي عام ١٨٣٠ أحس العميل الكاتوليكي الخبيث الياس شادي بقوة البطريرك الذي كتب له رسالة لطيفة فيها ينصحه بأن يرعوي ويترك أساليبه الملتوية التي أضرّت بمسيحيي ماردين وجعلتهم فرقا حائرة . وقد أنتقم الرب من شادي وجعله يحصد ما زرع . إذ في عام ١٨٣٢ عندما جاء عثمان باشا ابن شيخ اوغلي من آمد استولى على جميع ممتلكات شادي وأمر بشنقه في القلعة ورموه من هناك وهو

شبه عار ولم يحضر أحد من أهله ليأخذوه ، فربطوه من رجله وسحلوه إلى كنيسة القديس كيفورك حيث دفنوه في الخامس عشر من شهر آب عام ١٨٣٢ .

في هذه الأثناء أنحدر المطران متى الذي كان قد انحاز للكثلكة إلى سوريا وكانت مصر قد استولت على جانب منها وطلب من الرسميين بالسماح له بالاستيلاء على بعض الأوقاف والأديرة في سوريا وذلك بدعم من ترجمان المصريين الكاتوليكي حنا البحري، وهكذا استولى على ديرنا القديم مار اليان بالقرب من حمص بعدما طردوا منه الخوري حنا ابن الشماس اليان. وفي أواسط تشرين الأول عام ١٨٣٤ هاجم أكراد راوندوز أطراف آزخ واسفس وسبوا وقتلوا وعاثوا فساداً في تلك المنطقة وفي عام ١٨٣٥ هاجم طهمزخان الموصل وضواحيها وقتلوا وسبوا ، وكان البطريرك يومها في دياربكر وفي عام ١٨٣٦ رسم الربان كوركيس بن اشعيا الآمدي أسقفاً على أورشليم . وفي هذه السنة جمع رشيد باشا الذين كانوا يسمون أنفسهم بطاركة في طورعبدين برصوم الحبابي ، وميرزا السبيريني وعبد النور الأربوي وزيتون المذياتي ورماهم في السجن حتى يتوبوا ويمتنعوا عن

تسمية أنفسهم بطاركة، وأقام المفريان عبد الأحد الانحلي رئيساً على كل طورعبدين فنظم الأمور بشكل جيد، وجمع الراهبات في أديرة خاصة ، وكذا الرهبان ، أما البطريرك جرجس فإنه عندما اشتد الحر في ديار بكر حضر إلى ماردين حيث وافاه الأجل في ١٨ كانون الأول عام ١٨٣٦ فجنز ووضع جسده الطاهر في بيت القديسين في دير الزعفران .

البطريرك الياس الثاني الموصلي

١٨٣٨ - ١٨٤٧ +

إنه الياس بن هندي الموصلي من عشيرة فسولا وكان قصير القامة رخيم الصوت بهي الطلعة ، ناسكاً وطيب القلب ، غيوراً ومتمسكاً بالإيمان القويم ويحب الأيتام والفقراء وبالنظر لفضائله أرتقى إلى الدرجات الكهنوتية بسرعة . وارتسم مطراناً لمنطقة آثور عام ١٨١١ ومفرياناً في ١٨٢٩/١١/٩ وبسبب وشايات الفرقة المتكتلكة سُجن وهو مطران في الموصل وفي بغداد وهو مفريان وأفرج عنه بأعجوبة أظهرها الرب لضابط السجن . وبعد وفاة البطريرك جرجس دعي السنودس لانتخاب بطريرك جديد فوقع الاختيار عليه إلا أن الآباء قالوا لن نرسمك حالاً بل أذهب أولاً وأحصل على الفرمان مع إعادة كنائس دمشق والموصل ، حتى لا نقع بما وقع فيه البطاركة يونان وجرجس

وذلك بسبب مداخلات ورشاوي الفرقة الكاثوليكية علماً بأن المجمع المقدس سلمه كل ما في الدير ، وأعد نفسه للذهاب إلى استامبول كما قرر المجمع المقدس ورافقه الراهب عبد النور الرهاوي وذلك لإجادته اللغات التركية والعربية والسريانية والأرمنية وهو تلميذ دير مار مرقس في القدس، كما رافقه الراهب بهنام كاتبه وهو الذي رسمه مطراناً ، ورافقه أيضاً الشماس بهنام الموصلي ابن أخته والمسؤول عن نفقاته وخادم موصلي أسمه ميخائيل ، وحلوا جميعاً ضيوفاً على الأرمن الذين استقبلوهم بكل رحابة صدر ولمدة سنة وشهرين التي في نهايتها حصل على ستة فرمانات الخمسة لإعادة الكنائس التي كان الكاثوليك قد استولوا عليها والسادس فرمان البطريركية ، وعاد إلى دير الزعفران منتصراً فاجتمع حالاً المفريان مار باسيليوس عبد الأحد مفريان طورعبدين والأباء الأحبار أعضاء المجمع المقدس ونصبوه بطريركاً على انطاكية وذلك يوم أحد تجديد الكنيسة من عام ١٨٣٨ وبدأ فوراً بتنفيذ ما ورد في الفرمانات فمنع كاثوليك ماردين من دفن موتاهم في مقبرتنا، ثم انحدر إلى الموصل وفعل الشيء ذاته ، ثم بدأ بتفقّد المؤمنين في

شتى الأماكن وجمع الإعانات والتبرعات حتى وصل إلى الرها حيث رسم في أحد العنصرة الربان عبد النور مطراناً وسمّاه اوسطاثيوس ، وبعد ما انتهى من زياراته عاد إلى كرسيه في دير الزعفران وفي هذه السنة وردت إليه رسائل من الهند يطلبون إيفاد آباء إليه فأجابهم البطريرك بلطف بأنه سيفعل ذلك وقد يزورهم هو نفسه ، فسر الهنود من هذه الأخبار . وطلب البطريرك من الهنود بأن يختاروا أشخاصاً قديرين يرسمهم ويعيدهم إليهم . وكان بعض الآباء ممن جاؤوا إلى الدير ظلوا فيه وكان أحدهم مار سويريوس مطران دير مار ملكي مع اثنين من تلاميذه كان أحدهم الراهب يوياقيم الحبابي ربما بسبب مضايقات الأكراد للدير وسكانه. وانصرف المطران سويريوس للتعليم.

وفي ١٨٤١/١٢/٥ رقد هذا الحبر الصالح وكان معلماً ماهراً ووديعاً وناسكاً فدفنه البطريرك كما يليق بمكانته وسلم وظيفة التعليم في الدير للمطران عبدالنور الأربوي . وفي عام ١٨٤٢ قدس الميرون واجتمع في هذا الاحتفال أناس كثيرون من اكليروس وعلمانيين من ماردين وقراها ومن خربوط والرها وآثور ودياربكر وبشيرية وطورعبدين ،

فنصبوا الخيام في خارج الدير ونضبت المياه فأظهر الرب
عجيبة إذ وهم يدورون دورة طقس تقديس الميرون ارتفعت
مياه البئر الرئيسية ومشت المياه في الحوش فشرب القوم
وسبحوا الله الذي أفتقدهم برحمته وقد تحدث اثنان من
المشايخ للمطران دولباني مؤرخ كتاب البطاركة بالسريانية
وكان أحدهما راعياً معمراً في الدير وشيخ آخر أسمه فارس
تجاوز عمره المائة والأربعين سنة وقد رآه في قرية بنابيل عام
١٨٣٤، بأنهما استقيا من تلك المياه وشربا. وبعد تقديس
الميرون رسم الراهب بهنام الشهير مطراناً لمدينة الموصل
وسافر إلى دياربكر واهتم ببناء كنيسة مار قوما بقرية قره
باش . وكتب عدة رسائل راعوية للهند فيها يطلب ترشيح
كهنة وشمامسة ماهرين يتحلون بالفضائل ومكارم الأخلاق
المسيحية ويبعثوا بهم إلى دير الزعفران حتى يرسمهم
ويعيدهم إليهم لخدمتهم روحياً . من هؤلاء متى ابن أخ القس
ابراهيم الشهير والذي لم يكن سوى قاريء ، تعلم اللغة
السريانية في مدرسة «كولّم» ودرس الانكليزية في مدراس،
وتلقى من الانكليكان تعاليم بعيدة بعض الشيء عن تعاليم
كنيستنا المستقيمة الرأي ، هذا عندما سمع هذه الأخبار

توجه إلى ماردين بمساعدة المرسلين الإنكليز ، ولكي يحصل على ما كان يفكر به أعدّ مضابط مزورة وموقعة من أشخاص وهميين بأسماء كهنة ووجوه الشعب وفيها ذكر بأنه كاهن وهو مبعوث من قبلهم وعندما وصل إلى آثور تجاسر وأحتفل بالقداس وهو في الواقع غير مرسوم وتمكن من الحصول على رسائل توصية من سريان الموصل وحضر إلى دير الزعفران وقابل البطريرك الياس وقدّم رسائله وكان يتظاهر بالتقوى والوداعة. وسأل البطريرك بأن لا يعيده كسير الخاطر إلى الهند فأُخذ البطريرك بحيله وأحابيله ورسمه مطراناً وسماه اثاسيوس وزوده بالطقوس اللازمة والميرون والسوسطاطيقون . ويقال بأنه عندما صمم البطريرك أن يرسمه مطراناً التمس منه بأن يرسمه الرسامات كلها بدءاً من درجة القاريء كأن رسامة الهند غير صحيحة فأتم البطريرك رغبته . وسافر متى إلى الهند، وبعد وصوله ظهر غشه فانهالت الرسائل على البطريرك تذكر تاريخ حياته وكيف أنه زور الرسائل التي حملها إلى البطريرك وأنه بدأ ينفث سموم البروتستانتية بين المؤمنين بمساعدة الانكليز المحتلين وكهنة الانكليكان وعندما وصلت

تفاصيل أخباره إلى البطريرك حرمه. وفي تلك الأيام تمك
المطران عيسى بمساعدة الفرنسيين الذين كانت علاقته
بالدولة العثمانية قد تحسنت كثيراً وأستعاد الكنائس
المغتصبة وكذا المقابر، وسافر البطريرك إلى استامبول ف
محاولة لاستعادة ما اغتُصب إلا أنه لم يوفَّق . وهو ف
استامبول وصل إليها المطران اوسطاثيوس عبد النو
الرهاوي مطران أورشليم والتمس من البطريرك بأن يسم
له أن يتفقد المؤمنين في كل مكان ويجمع الإعانات للقدس
وذلك لتحسين وضع الأماكن المقدسة ومكث عنده ثماني
أشهر إلا أن البطريرك لم يلبِّ طلبه بل أبعده من حبري
أورشليم، واستجاب لوكيله الراهب الياس الكسرواني والذي
أفاده بأن الدير لا يحتاج لشيء، بل هناك ١٥٠٠ عائلة في
جبل لبنان يريدون مطراناً وكهنة لإدارة شؤونهم وهم على
استعداد للاعتراف بالبطريرك والإيمان الأرثوذكسي ، وتبين
بأن ذلك لم يكن صحيحاً ، وترك استامبول بعد أن أقام
وكيلاً هو كيرلس يعقوب القلعتمراوي . ووصلته رسائل من
الهند تتحدث عن متى المحروم وما يقوم به من محارم
وتجاوزات، فرسم عام ١٨٤٦ وهو في الرها الربان يوياقيم

الحبابي مطراناً وأرسله إلى الهند ودعاه كيرلس . وإذ أحس البطريرك بأن الكسرواني الذي كان قد رسمه مطراناً لأورشليم مكان المطران عبد النور قد خدعه فصله ، وطلب من المطران عبد النور العودة إلى درجته ومركزه عام ١٨٤٧ وأن يجمع الإعانات للأراضي المقدسة كما شاء واقترح معتذراً عما حصل في الماضي من سوء فهم . وفي هذه الأثناء وصله خبر حزين من آزخ وهو أن الأسقف كوركيس قتله بدرخان بك مع اثنين من كهنته وثمانية من اختيارية الجماعة في آزخ فشمل البطريرك وأهل ماردين حزن عميق بالنظر لأن الأسقف كان يتمتع بصفات عالية من تقوى وعلم. وعلى الرغم من شيخوخته وأمراضه فإن البطريرك كان يزور المؤمنين بنفسه ويشجعهم على الثبات على الإيمان المستقيم ولا يقعوا في أحابيل دعاة الكثلكة وسواهم ، وفي الوقت نفسه كان يهتم بالأشخاص المائة الذين كانوا في دير الزعفران والذين كان يعلمهم أحبار اجلاء تحلوا بالعلم والفضائل مثل مار سويريوس رئيس دير مار ملكي والمطران قورلس عبد النور الأربوي اللذين بذلا قصارى جهدهم في إرشاد وتعليم هؤلاء الأشخاص الذين كان دير الزعفران

يعيلهم ويهتم بهم ، زاد على ذلك وفاة المطران بهنام ابن أخته الذي كان قد رسمه عام ١٨٤٥ في دير الزعفران وفي عام ١٨٤٦ مرض وتوفي فجأة فكان البطريرك يتنهد في كل حين حزناً عليه إلى أن رقد هو أيضاً بعد سنة من هذا التاريخ بشيخوخة صالحة ، بعدما خدم البطريركية ، عشر سنوات وخمسة أشهر وذلك في ١٨٤٧/٤/١١ فدفن في الجهة الشمالية من بيت القديسين في دير الزعفران نفعنا الرب بمقبول دعاه .

البطريرك يعقوب الثاني

١٨٤٧ - ١٨٧١ +

هو يعقوب ابن يوسف كبسو ، ولد في قرية قلعتمرا القريبة من دير الزعفران وذلك سنة ١٨٠٠، وعندما بلغ مبلغ الشباب خطب له أبوه فتاة وقورة اسمها حانا ابنة واحد من وجوه القرية اسمه جرجس حنا، وظل مخطوباً ثلاث سنوات ، وقبل عقد إكليله بأسبوعين تحركت فيه رغبة روحية وأحس بأن كل ما في هذا العالم باطل وإلى زوال، لذلك غادر دار أبويه وتوجه إلى طورعبدين وهناك دخل سلك الرهبنة وتتلمذ للبطريرك يونان الذي كان يعيش أيامها في دير مار ايليا قرب قرية حباب ومنه قبل اسكيم الرهبنة وذلك عام ١٨١٨ وبعد سنة من هذا التاريخ نال سر الكهنوت المقدس ، وبدا ذكياً وحكيماً وقوّاماً وصواماً، لذلك دعاه البطريرك جرجس عام ١٨٣١ ورسمه مطراناً عاماً ودعاه

كيرلس وسلمه رئاسة دير الزعفران وماردين ، وأحبّ زيار

روسيا وذهب إلى تفليس وعاش هناك بعض السنوات، وفي

عام ١٨٤٤ تعيّن نائباً بطريركياً في استامبول حيث ابتاع بيت

في حي باي اوغلي وجعله مكاناً للصلاة يؤمه المغتربون في

هذه المدينة الكبيرة من تجار وسواهم ونال رخصة لجعل تلك

الدار كنيسة على اسم السيدة العذراء ، ثم ابتاع مطبعة

صغيرة وصب كمية من الأحرف السريانية ونشر كتاب

صلوات بالكرشونية، كما نشر سفر المزامير بالسريانية وبعد

الانتهاء من طباعة الكتابين عاد إلى ماردين ودير الزعفران

أولاً ليوزع الكتابين المذكورين، ويزور الأهل والعشيرة ثاني

لجمع بعض المال لإيفاء الديون التي كان البطريرك الياس قد

أنفقها في استامبول خلال ملاحقة قضية دعاوي كنائس

الموصل. وعندما وصل إلى دياربكر سمع بأن البطريرك

الياس قد رقد بالرب، فانحدر إلى ماردين ودير الزعفران

وأجتمع الآباء الآساقفة: المطران يوحنا بن يشوع جزمجي

والمطران يوسف كروم والمطران اسطيفان راعي أبرشية

الجزيرة والمطران آحو رئيس دير مار ملكي والمطران برصوم

رئيس دير الصليب، والذين كانوا يسمون أنفسهم بطاركة في

طورعبدين وكانوا في الواقع أساقفة : ميرزا وزيتون جلمو وملكي مطران مذيات ، ويوليوس بطرس الذي من منطقة آثور ، ولمدة خمسة عشر يوماً تبادلوا الآراء وتباحثوا بعمق بخصوص الانتخاب البطريركي وفي النهاية وقع اختيارهم على المطران يعقوب ورسموه بطريركاً وذلك يوم الخميس قبل عيد العنصرة الذي هو يوم وفاة القديس مار برصوم عام ١٨٤٧ وبعد الرسامة حضر من بلاد آثور المطران الشهير بهنام والمطران متى راعي أبرشية دير مار متى وتفاجأوا إذ رأوا بأن التنصيب قد تم فقالوا لتكن إرادة الرب ولتكن الرسامة مباركة على الأمة السريانية. ثم عاد كل حبر إلى ابرشيته. وأما المطران يوليوس بطرس فإذ لم تكن له أبرشية عينه المجمع مطراناً لدمشق وأما المطران الشيخ يوسف كروم فإنه منح دير مار يعقوب الذي فوق دير الزعفران ليعيش فيه. وفي عام ١٨٤٨ رسم الربان زيتون مطراناً ودعي فيلكسينوس. وأوفد المطران اسطفان إلى الهند ومعه الربان شمعون، وقدس الميرون المقدس عام ١٨٥٠ وجاء بنصبات الكروم على أنواعها وأشجار اللوز وزرعها حول الدير، وبنى بالقرب من كنيسة الأربعين في ماردين مسكناً

على شكل مربع له سقف من الخشب ، وفي عام ١٨٥١ جال
في طورعبدين وعاد إلى ماردين وفي نهاية هذه السنة ذهب
إلى منطقة آثور ورسم لها المطران بهنام مفريانا، وفي عا
١٨٦٣ زادت الاضطرابات بيننا وبين السريان المنشقين من
اتباع البابا ، إلى درجة أن النسوة كن يتجادلن في الحمامات
في مَن هو على حق ، واتفق الجانبان بأن يدخل المسؤولون
من الطرفين في جدال عام وواضح حيث يبحثون في جميع
القوانين والأنظمة، وأستدعى البطريرك يعقوب ثلاثة آباء هم
المطارنة زيتون وآحو ويوسف الذي من قرية قلث ، وبعد
مراجعة الوجوه في الطائفة وقع الاختيار على المطران زيتون
ليرأس وفدنا ومعه أربعة عشر رجلاً مختاراً . والمطران
انطون من الجانب الآخر ومعه العدد ذاته مختارين من
الجانب المنشق ومن الكلدان أيضاً والأرمن الكاتوليك، وعندما
طلبوا ورقة إيماننا وقرأها أمامهم المطران زيتون قالوا بفم
واحد : نموت ونحيا جميعاً على هذا الإيمان ، فقيل لهم فما
هو المانع إذن من أن تتحدوا معنا، أجابوا هناك أمور أخرى
بحاجة إلى بحث بهدوء وعن طريق المراسلة ، وإذ رأوا جميع
اسألتهم يرد عليها فوراً المطران زيتون تأخروا في الرد على

الأسئلة الثلاثة الهامة ، وعندما أراد أعضاء السنودس أن تكون الردود والأسئلة مكتوبة، لم يتفق المطران انطون والكلدان والأرمن الكاثوليك وقالوا : إن إيمانكم صحيح إنما أنتم تسيئون تفسيرها، وفي الواقع انكسرت شوكتهم لا سيما المطران انطون الذي التحف بالخزي. وفي سبت العازر ذهب البطريرك إلى دياربكر ، وفي عام ١٨٥٣ بنى في الباحة الخارجية للدير جنينة جميلة لتصير مكاناً خاصاً للقادمين إلى الدير من العلمانيين للنزهة والترويح عن النفس، فلا يختلطوا بسكان الدير والرهبان . وفي عام ١٨٥٦ التمس منه مطران أورشليم المطران عبد النور الرهاوي بأن يأذن له بالسفر إلى ملبار الهند وذلك بقصد جمع الإعانات لدير مار مرقس يرافقه في ذلك الراهب عبدالله مخلوف الصدي وعاد المطران إلى وطنه عام ١٨٥٨ بعدما نجح في زيارته . وفي هذه الأثناء نفى البطريرك المفريان بهنام إلى جبل العمادية وكانت له السلطة من الدولة أن يفعل ذلك ولم نعرف بالضبط ما الذي حصل بين الاثنين ، إلا أن البطريرك ندم على فعلته وطلب عودة المفريان إلى كرسيه، إلا أن ذلك أستغرق سبعة أشهر حتى تمّت أخيراً الموافقة على العودة

وفي أيلول من عام ١٨٥٩ توفي المفريان مكسور الخاطر
وفي عام ١٨٦٠ رسم البطريرك مطرانين هما: الربا
جرجس ابن القس عبدالنور المارديني مطراناً عاماً وسمّـ
كيرلس والربان عبد المسيح الماردينى مطراناً لدياربكر ، وفي
ذات السنة بنى في دياربكر مطرانية بقناطر جميلة وابتا
بعض الأراضي وجر المياه إلى الكنيسة، وفي عام ١٨٦٢ أوفد
المطران كيرلس جرجس لإدارة أبرشية آثور إذ لم يكن لها را
في ذلك الحين. وفي هذه السنة وقع بينه وبين بعض مؤمنى
ماردين سؤ فهم بسبب ديرنا الشهير (دير الزعفران) الذي
يعتبره أهل ماردين مقدساً مثل دير مار مرقس في القدس
فهو مقصد للملهوفين ومصنع للرجال الذين وهبوا قلوبهـ
لله فصاروا من عباده المختارين الذين خدموا الطائفة
والكنيسة في شتى الحقول والميادين وذلك لمئات السنين
وأهل ماردين تمنّوا أن يكون مركزا لمدرسة راقية تخرّج
الرهبان المتعلمين ومئات الشمامسة كما في أيام البطريرك
الياس . أما هو فإنه تذكر الديون التي أعادها وما تكبده من
أتعاب في سبيل ذلك يضاف إلى ذلك أنه ظن بأن الدير
سيصير مركزاً للشبيبة يبيتون فيه ويعيشون الأمر الذي لا

يناسب حياة الرهبنة الهادئة وبرامجها وأسلوب حياتها ، لذلك قرر أن يكون مركزه مدينة دياربكر وترك دير الزعفران ينعق فيه البوم والغربان بالنظر لخلوّه من المقيمين، إذ لم يبقَ فيه سوى الحراس والنواطير، وهذا مأخذ هام في حياة هذا الأب الكبير ، ولو أنه كانت هناك جوانب مشرِّفة وحسنة لتفضيل دياربكر على ماردين كون دياربكر كانت فيها الحاكمية ، إنما ترك دير الزعفران وماردين في ذلك الزمان الذي كانت فيه الشيعة المنفصلة من الكاثوليك تشاغب وتعمل على إظهار ذاتها بمساعدة المرسلين ودولة فرنسا كان أمراً غير مقبول لذلك كتب بعض وجوه ماردين إلى المطران يوليوس بطرس مطران دمشق حتى يحضر إلى ماردين ويعالج هذا الأمر . إلا أن المطران بطرس رفض الحضور لهذا السبب إذ ما كان يريد أن تضطرب الأمور بينه وبين البطريرك . وفي عام ١٨٦٤ تفقد طورعبدين وقدس الميرون في دير مار كبريال ورسم الربان بهنام سمرجي مطراناً لمدينة الموصل ودعاه ديونيسيوس . وفي عام ١٨٦٥ بينما كان في دياربكر حضر من الهند الربان يوسف المليباري فرسمه البطريرك في ١٢ شباط ١٨٦٥ مطراناً

وذلك نزولاً على رغبة سريان مليبار . وفي عام ١٨٦٩ زا
الرهـا بصـحـبـة المطران كـيـرلس جـرجس في أيام رئاسـ
المطران كبريال ، فـخـرجت المدينة كلها لاستقباله السريا
والأرمن فـدخل المدينة بزياح كـبـيـر يليق بمقـامـه السامي
وخـلال وجـوده في المدينة بارك الميـرون المقـدس وقـدسـجل
التاريخ بأن مياه البئر فاضت، فبدأت الشيعة البروتستانتية
رغم صغر حـجـمـهـا تتندّر وتنسب فوران الميرون إلى مز
الزيت بمواد كـيـمـاوية حـاولوا تقليـدها فـاحـترقت وجـوهه
وصاروا هزءاً وأضحوكة للناس، وقد كتبت هذه الأعجوب على
رخـامـة وضعت على مـدخل الكـنيـسـة وذلك لتـخـليـد هذ
الأعـجـوبة. وبعد انتهاء الزيارة جاء إلى دياربكر وظل فيها
حتى يوم رقاده وكان يعيش في تلك الأيام في قلعتمرا رجل
صالح غني اسمه نعمان آغا سجل أراضيه باسم الوقف
وقد جعل مال البطريركية باسم هذا الرجل يسلمها للمرشح
البطريركية بعد وفاة البطريرك وانتشر خبر مرض البطريرك
في ماردين فأرسلوا المطران يوليوس عبد المسيح في السابع
من شباط ليتفقده وعندما وصل إلى دياربكر وجد البطريرك
وقد أرتبط لسانه ولا يقوى على الكلام إلا بصعوبة بالغة ،

فصنع له قنديلاً وفي ١٢ شباط أسلم روحه بيد خالقه ، فأبرق نعمان آغا بالاشتراك مع الشماس ملكي دولباني وكانا عضوين في مجلس الولاية طالبين من أهل ماردين أن يحضروا لنقله إلى دير الزعفران حتى يوضع جثمانه الطاهر في مقبرة البطاركة إلا أنهم لم يتمكنوا من المجيء بسبب البرد الشديد في تلك السنة وكان أهل دياربكر يتمنون أن يبقى عندهم، لأنهم نالوا حظوى كبيرة بسبب وجوده عندهم، وفي النهاية قبروه في مقام مار (ܣܘܙܐ) حاورو بجانب المذبح الجنوبي لكنيسة والدة الإله في دياربكر نفعنا الرب بصلواته . رسم المثلث الرحمة مفرياناً واحداً وأربعة عشر مطراناً وعشرات الكهنة والشمامسة .

البطريرك بطرس الرابع

١٨٧٢ - ١٨٩٤+

هو بطرس الذي من منطقة آثور ، تربى وأرتسم وهو شاب في دير الزعفران ، وكان رجلاً صافي القلب وطيباً للغاية ، تحلى بفضيلتين الغيرة والمحبة ، واختير للأسقفية ورسمه البطريرك الياس الثاني مطراناً لسوريا فأدار أمورها بمقدرة وجرأة واندفاع لاسيما بالنسبة إلى الأديرة والكنائس التي كان الكاثوليك قد استولوا عليها بدعم من المرسلين الكاثوليك والفرنسيين ، وفي آيامه نصف قرية زيدل انضمت إلى الكثلكة وذلك بسبب مشكلة زواجية ، وعندما توفي البطريرك يعقوب كان في استامبول يراجع الرسميين بخصوص البيع المغتصبة من قبل الكاثوليك ، فوصلته برقية من مجلسنا في دياربكر وفيه يدعونه مع سائر أحبار الكنيسة لانتخاب البطريرك الجديد، فأجابهم قائلاً : لا أستطيع

الحضور حالياً، ومبروك من سيقع اختيار الآباء عليه . وإ
اجتمع الآباء ولاحظوا بأن معظم الآراء تتّجه صوب المطران
بطرس أبرقوا إليه مرتين أُخريين، لذلك تأجل الانتخاب .

واجتمع جميع الآباء في دير الزعفران وأظهروا ميله
الشديد للمطران بطرس وذلك قبل حضوره ، وعندما حضـ
أخيراً قصّوا عليه ما حدث واشترطوا عليه بأن يجدّد بنا
دير الزعفران ويزوّده بمطبعة حديثة ويؤسس مدرسـ
لاهوتية راقية. فأجابهم المطران بهدوء : يا أخوتي أنا لا
أعدكم بشيء ، إنما ما يساعدني الرب على تنفيذه أنفذ
بفرح ، وإلا فانتخبوا سواي وأنا بفرح أقف إلى جانبه وادعمه
وأحمل قاووغه، وتشاوروا من جديد وقالوا له : إن المؤمنين
بحاجة إلى من يسوسهم بموجب قوانين البيعة وأنظمتها
فقال لهم : إن لم أسر بموجب قوانين البيعة وأنظمتها كيف
تنتخبونني لأعلى سلطة في الكنيسة ، وأنا نفسي أكون بلا
أجر . وإذ رأوا بأنه يجيبهم بحكمة وصواب . وتجرّد كلي
اقّروا عندها انتخابه بالإجماع وقرّروا تنصيبه يوم عيد
العنصرة من عام ١٨٧٢ وهذه أسماء الآباء الذين شاركوا في
الانتخاب والرسامة : مار قورلس آحو رئيس دير مار ملكي

ومار قورلس جرجس الماريني المطران العام ورئيس دير مار قرياقس في البشيرية ، ومار يوليوس عبد المسيح الذي كان قد رسم لدياربكر، ومار ديونيسيوس بهنام سمرجي مطران الموصل ، ومار ديونيسيوس بهنام مطران أبرشية معدن الشيخ الوقور والذي كان يعيش أيامها في دير الزعفران ، ومار كيرلس برصوم الآزخي مطران الجزيرة ، ومار ديوسقوروس كبريال الرهاوي مطران خربوط ، والمطران برصوم رئيس دير الصليب ، ومار اثناسيوس دنحا رئيس دير مارمتى . كما حضر التنصيب عشرات الكهنة والشمامسة وآلاف المؤمنين من أطراف ماردين المباركة ومن طورعبدين ، وكان احتفال التنصيب في غاية الروعة والمهابة، وأبرق البطريرك الجديد إلى الجزيرة حيث كان المطران عبد النور راعي أورشليم والذي كان يجمع التبرعات للأراضي المقدسة وعاتبه لكونه لم يحضر حفلتي الانتخاب والتنصيب كونه الأكبر عمراً ومقاماً ووقع بينهما برود ، ثم ذهب المطران إلى دياربكر بينما أنحدر البطريرك إلى ماردين وبدأ يشجع المؤمنين على معاونته في تجديد دير الزعفران لأنه وجد فيهم فتوراً ، وطلب من بعض وجهائهم

أن يرافقوه في جولته لجمع الإعانات فوافقوه في رأيـ
ورافقه المطران قورلس جرجس ، وعندما انتهى من جمـ
الحسنات في بلدة ماردين استدعى المهندس السرياني عبد
المسيح يونان احمر دقنه وأرسله إلى الدير ليبدأ بهد
الجانب القديم ويبدأ بالبناء، وإذ شعر بأن العمل العام يأخذ
الكثير من وقته سلّم العمل للمطران قورلس جرجس
والنفقات للوجيه السيد عبد الأحد ابن الشماس عبد المسيح
كشّه ، ثم استدعى المهندس من جديد واتفق معه على مـ
سيُنفق على العمل بالكامل وذلك لقاء تسعين ألفا من
الأكياس، عدا ما أُنفق سابقاً وما عدا ثمن الحديد
والخشب والكلس . ثم أنحدر إلى طورعبدين والبشيرية
وجمع ما سخت به أيدي المؤمنين وعاد إلى ماردين وذهب
إلى دياربكر أوائل كانون الأول واختلف مع أهل دياربكر على
تركة البطريرك يعقوب وفي البداية لم يشأ مجلس دياربكر
تسليم أي شيء وإذ سمعوا بأن المحاكم قد تتدخل لصالح
البطريرك انصاعوا للأمر الواقع ، هذا بالإضافة إلى ما كان
لدى المطران عبد النور من تركة البطريرك يعقوب وكانت
بحدود المائة والخمسين ألفاً ، إذ أن المطران كان يردد القول

إن ما يصل إلي هو ملك لدير مار مرقس ، وفي الأخير وصلوا إلى نتيجة إيجابية ، إلا أن البطريرك أوقف المطران عبد النور لكونه يتجّول من دون معرفة ورضى البطريرك وعيّن مكانه تلميذه المطران عبد الله سطوف وسماه غريغوريوس ، ومضى إلى دياربكر حيث جمع من قراها تقدمات المؤمنين للانتهاء من بناء الدير ، ثم توجّه إلى استامبول حيث مكث فيها أكثر من سنة حصل في نهايتها على فرمانه الصادر عن السلطان ، وسُرق منه خلال وجوده هناك أربعمائة ليرة ذهبية وكان السارق أحد مرافقيه واسمه داود الذي لم يكتفِ بفعلته وإنما وشى بالبطريرك لدى بطريركية الأرمن حتى ينسف الجسور بين الطائفتين . وفي تلك الأيام وصلت رسائل من الهند من ديونيسيوس يوسف ومن الخوري فيلبس وآخرين ، وفي جميع تلك الرسائل كانت هناك شكايات من تجاوزات متى الذي كان البطاركة الياس ويعقوب قد حرموه ويلتمسون منه بأن يذهب بنفسه إلى الهند وينقذ الكنيسة من شرور متى المتمرد الذي طغى كثيراً وبغى بمساعدة الأنكليكان، وأشاروا عليه بأن يذهب أولاً إلى لندن ويحصل من الملكة على أوامر

تجعل رسائله وأوامره قوية ومستجابة، وأحس بالغير

تحركه، فترك استامبول في ١٨٧٤/٨/١٤ ونزل إلى البحـ

برفقة المطران مارغريغوريوس عبد الله الذي كان قد عينـ

لأورشليم وبعد أيام وصل إلى باريس حيث قابل السفيـ

التركي وفي ١٨٧٤/٨/٢٤ وصل إلى لندن وحل ضيفاً علـ

السيدة "فنّ" زوجة مستر جاكوب السفير السابق لبريطانيـ

في الأراضي المقدسة وكانت تتحدث العربية وقد أظهرت

للبطريرك احتراماً زائداً وكذا الأمر بالنسبة إلى الوزراء

والأمراء في بريطانية ورؤساء الكنائس والمسؤولين الكبار

داعين إياه إلى حفلات وولائم، وكتب رئيس أساقفة

كانتربري إلى ألف ومائتين من كنائسه حتى يجمعو

التبرعات للإنفاق على مشاريع الطائفة، وإذ علم البطريرك

بأن رئيس الأساقفة ينوي إيفاد بعض مبعوثيه (لتبشير

السريان) كما زعم رئيس الأساقفة، رفض البطريرك المشروع

بأكمله واقتنى مطبعة شحنها إلى حلب إلى الوجيه السيد

أنطونيوس عازار عميد أسرة عازار الكريمة، وحظي مرتين

بمشاهدة الملكة فيكتوريا، المرة الأولى في ١٨٧٥/٢/٢١ حيث

أظهر فرحته بمشاهدته ملكة مسيحية وشكر الله لكونه أتمّ

رغبته، وبادرته الملكة بالقول: أنا سعيدة جداً بمجيئك إلى بلادنا هذه، وأنا أرى في شيخوختك الجليلة صورة أبينا إبراهيم. وسألته عن احتياجاته فطلب بعدما صلّى من أجلها أن تزوده بكتب توصية للمسؤولين الكبار في الهند لأنه ماضٍ لتفقد أبناء رعيته هناك فوعدته خيراً. أما الزيارة الثانية فإنها تمت في ١٨٧٥/٢/٢٨ وكان يصحبه المطران غريغوريوس عبد الله، وعندما وصل إلى المحطة القريبة من القصر الملكي أقلتهما عربة ملكية فخمة ومضت بهما إلى القصر إلى حيث الملكة كانت في انتظارهما وجلسا معها إلى مائدة صيامية لأنه كان زمان الصيام الكبير، وفي نهاية الطعام ذهبوا جميعاً إلى كنيسة بنيت فوق ضريح زوج الملكة الأمير "ألبرت" وبعد فترة وجيزة وصلت الملكة مع ابنتها الكبرى والتمستا من البطريرك أن يصلي على ضريح الملك الراحل ففعل وتبادلوا أحاديث وديّة وقدمت له الملكة وساماً ملكياً ومنحته فرماناً رفيعاً وأصدرت من ثم رسائل ملكية توصي بالبطريرك خيراً وأمرت جميع الموظفين الكبار حيثما وجدوا لتقديم الخدمات القانونية له، فشكرها البطريرك ودعا لحفظها وحفظ مملكتها واستعد للرحيل.

وفي ١٨٧٥/٣/٢٢ ، وصل إلى الإسكندرية وكان عي
شعانين الرب فاحتفل بهذا العيد مع الاخوة الأقباط، وف
اليوم التالي سافر إلى القاهرة حيث أستقبله بطرير
الأقباط كيرلس الخامس مع حاشيته وحل ضيفاً ع
البطريركية القبطية واحتفل بعيد القيامة المجيدة معهم وف
١٨٧٥/٤/٢٢ زار إسماعيل باشا خديوي مصر الذي تلق
بتكريم كبير وفي ١٨٧٥/٤/٢٣ غادر القاهرة إلى السوي
مودعاً بما يليق من بطريرك الأقباط واكليروسه وأعيانه وف
السويس استقل باخرة إنكليزية نقلته إلى بومباي التي وص
في ١٧ أيار فحل ضيفاً كريماً على أسرة التجار الكبار
ساسون وخلال ثمانية أيام زار الحاكم الإنكليزي وسفي
تركية، ثم سافر إلى مدينة مدراس وزار حاكمها الإنكليز
في مصيفه "نيلكري" في ٢ حزيران وظل ثلاثة أيام ف
ضيافته، وفي التاسع من حزيران وصل إلى ميناء كوتش
فجرى له استقبال حاشد من الرسميين وأبناء الرعية وح
في قصر فخم أعد له خصيصاً وأطلقت المدفعي
البريطانية إحدى عشرة طلقة تحية له وكان يقف على با
القصر مائة وعشرون كاهناً سريانياً، وفي ٦/٢١ نزل إل

ترافنكور وفي اليوم التالي لوصوله أرسل مهراجا ترافنكور جوقته الموسيقية فعزفت ألحانها الشجية مدخلةً السعادة والسرور إلى قلب قداسته فخرج قداسته وباركها فسجد أفرادها إلى الأرض إكراماً وزاره في مقر إقامته وزير الخارجية وهنأه بوصوله بالسلامة باسم المهراجا، وفي ٥ تموز زار قداسته المهراجا فاستُقبل في غاية الحفاوة وأهداه وساماً رفيعاً وقال له: بعدما عاينت شيبتك الوقورة قلت لا شك بأن إله السماء هو معك . ووضع مركبته الملكية بتصرفه حتى يستعملها حيثما توجه في مملكته مع ضابطين كبيرين من ضباطه وفي ١٢ أيلول رد المهراجا الزيارة للبطريرك في احتفال كبير وفي القصر الذي كان قد حل فيه البطريرك.

وهكذا كان البطريرك يُكرَّم من كبار وعظماء المملكة حيثما حل . حتى أن بسطاء الوثنيين كانوا يرددون قائلين : ألعله إله النصارى ؟ أما هو فكان يتفقد الرعايا والكنائس ويرشد المؤمنين إلى ما فيه خلاص نفوسهم، وأعطى مجالاً لمتى العاصي حتى يصلح ما أفسد وإذ يئس البطريرك منه جدد حرمه ورفع أمره إلى المحاكم المدنية فنال البطريرك عليه نصراً، وألغى المهراجا براءته . وعاش ذليلاً إلى أن مات

بعضة فأرة، فعلق أحد الهنود الظرفاء على ذلك بقوله: «إن
تلك الفأرة قدمت من دير الزعفران» على أن شبكة متى
البليار لم ترجع فارغة فقد اشتملت على بعض الضعفاء
فشكلوا كنيسة مستقلة موجودة لغاية اليوم . أما كنائسنا
فكانت أيامها بحدود /١٦٥/ كنيسة يصلي فيها أكثر من
ثلاثمائة ألف نسمة في ترافنكور فقط، أما اليوم فإن عدد
الكنائس وصل إلى أكثر من خمسمائة كنيسة والمؤمنون
تجاوز عددهم المليون نسمة (١٩٢٩م)[١] لاحظ البطريرك
بطرس بأن رقعة تواجد السريان واسعة في ملبار فأراد
تقسيم الطائفة إلى مجموعة ابرشيات وعلى رأس كل أبرشية
مطران شبه مستقل، فرسم في ١٨٧٦/١١/٢١ كوركيس بوناط
مطراناً لطومبون في الجنوب وسماه يوليوس، ورسم بولس
كورن الذي من برور مطراناً لكوطيم وسماه اثناسيوس،
وكوركيس شاطورطي مطراناً لنيرنم في الجنوب، وكوركيس
امباط الذي من انكمالي مطراناً لطومبون، كما رسم ايوانيس
بولس لأبرشية كندناط وديونيسيوس شمعون مطراناً لكوتشين
وزود كل مطران ببراءة بطريركية تخوله التصرف في

---

(١) اليوم بلغ عدد السريان أكثر من ثلاثة ملايين نسمة وتجاوز عدد الكنائس الألف
كنيسة .

أبرشيته، فبلغ مجموعهم مع ديونيسيوس يوسف سبعة مطارنة، كما رسم راهبين و١١٦ كاهناً و١٧ شماساً وقدس الميرون في عيد انتقال السيدة العذراء عام ١٨٧٦ وفي حزيران من عام ١٨٧٧ عاد إلى الشرق الأوسط، فوصل في تموز مصر فاستقبله الأقباط بحفاوة بالغة، فأرسل برقيا في طلب المطرانين كيرلس كوركيس ويوليوس عبد المسيح فحضروا إلى مصر فطلب منهما البطريرك أن يرسم أحدهما مفرياناً ويرسله إلى الهند مغطياً نفقاته، فاعتذرا بالنظر لتقدمهما في السن، وفي القدس عندما شاهد إنجازات المطران عبد النور الذي كان قد رقد في نيسان من عام ١٨٧٧ وكان قد سامحه قبل عام بكى عليه تأثراً .

وانطلق إلى استامبول حيث مكث فيها ثلاث سنوات وأنجز بناء كنيستها التي على أسم السيدة العذراء وأنفق عليها ستمائة ليرة ذهبية وأقام عليها الربان عبد النور الرهاوي وكيلاً، وترك استامبول إلى حمص حيث رسم الربان شمعون الاسفسي مطراناً للجزيرة ثم عينه نائباً عنه في الهند، كما رسم الربان بهنام العقري مطراناً عاماً وسماه يوليوس . وعندما انتهت اخبار نجاحاته في الهند إلى ماردين

وسـواها شـملهم فـرح عـارم وأرسلوا (تخـتـروان)[1] إلى حـمص وبنوا له بناء جديداً في كنيسة الأربعين، ومر بالرها ففرحت جميع طوائفنا للقائه وكان الاستقبال في غاية الروعة ثم أنحدر إلى ماردين ماراً بدياربكر التي احتفلت هي الأخرى بمقدمه، وكانت جميع هذه الاستقبالات بمشاركة الطوائف الأخرى والدولة ورجالاتها الكبار، واكتملت الفرحة بوصول المطبعة فبنى لها بناء خاصاً من طابقين وبدأت بالعمل بهمة المطران عبد الله الصدي، كما تدرب على تشغيلها المطران الياس هلوله والربان الياس شاكر والربان منصور راهب خلو وبدأوا بطباعة بعض الكتب الطقسية وإذ رأى البطريرك ثمار المطبعة جاء بقطّاعة ورق وأشياء أخرى من لندن . وفي عام ١٨٨٨ حـضـر المطران بهنام سـمـرجي مطران الموصل إلى ماردين وهو في طريقه إلى استامبول للمراجعة بخصوص الكنائس التي عاد فاستولى عليها الكاتوليك في الموصل، فنصحه البطريرك بعدم جدوى المراجعات فقال له المطران إذا كان أهل الموصل يرضون بهذا فأنا أيضاً راضٍ، فأبرق البطريرك إلى المواصلة فأجابوه سلباً. عندها قال لهم اشتروا

---

(١) عربة فخمة تجرها الخيول .

أرضاً وأنا أتي إليكم وأبني لكم كنيسة وننتهي من المشاكل والمصاريف التي أنفقت أيام البطاركة جرجس والياس ويعقوب من دون فائدة، وتبرع المواصلة أيضاً فاشتروا بعض العقارات التي بقرب كنيسة الطاهرة وتبرع آل عبد النور بدار العائلة وإذ رآهم ينتظرون عودة المطران سمرجي من استامبول ليبدأوا بالعمل فإن البطريرك أمر بهدم العقارات وسمع المطران سمرجي بهذه الأخبار فغادر استامبول غاضباً، وعاد البطريرك إلى كرسيه والعمل ماش والتقى المطران سمرجي وهو في طريقه إلى ابرشيته فحصلت بينهما مشادة أمر البطريرك على أثرها بنفي المطران إلى دير مار جرجس في معدن، ولاحظ العقال كيف أن الكتلكة أضرت بكنيستنا في أوقات ضعفنا وهزالنا، فهي أي الكتلكة جعلت سلام الكنيسة داخلياً يضطرب والتناغم بين الرعاة يهتز ويضعف ومع ذلك ظلت الخميرة تجاهد من أجل وحدتها ووجودها وكان في النتيجة النصر لها وذلك بفضل حكمة رعاتها وبعد نظرهم، فالبطريرك بطرس مثلاً تخلّى عن حق إعادة الكنيسة في الموصل وابتنى بيعة جديدة لا بل وضع مجموعة قوانين عن الأفراح والاتراح في الكنائس بالاشتراك مع مطران

الكاثوليك بهنام بني دالا على روح مسكونية مبكرة وانفتـ
ومحبة وتسامح . أما المطران سمرجي فإن بعض الوجهـ
توسطوا حتى لا يذهب إلى منفاه فظل ثلاث سنوات فـ
كنيستنا (مارتشموني في ماردين)، وأخيراً سمح له البطريرك
بالعودة إلى الموصل إنما كناظر على بناء الكنيسة الجديد
فقط، وقد انتهى البناء بتقدمات وتضحيات المواصلة . وفـ
عام ١٨٩٣ أبدت الفرقة الكاثوليكية في ماردين رغبتها فـ
الاتفاق معنا فوافق البطريرك وشمل فرح جميع الطوائف فـ
ماردين إلا أن هذا الفرح لم يدم طويلاً لأن الكاثوليك
أشاعوا بأن الأرثوذكس تكتلكوا فاضطرب الجو فأصد
البطريرك على الإثر بياناً شرح فيه الواقع وعاد كل واحـ
إلى قواعده . وفي ١٤ أيلول ١٨٩٤ قدس الميرون في ديـ
الزعفران وفي ٢٥ أيلول عاد إلى ماردين وهو يشكو من وجـ
في خاصرته وفي ليلة يوم الاثنين ٢٦ أيلول رقد بالرب
فحضر حالاً المطرانان كيرلس جرجس وايونيس الياس هلولـ
وختموا أغراض البطريركية بختميهما، وفي صبيحة اليو
التالي غسلوا جسده الطاهر وأنزلوه إلى كنيسة الأربعين
شهيداً، وبعد القداس والزياح حملوه في مركبة مكشوفة وهو

بزيه الكنسي وبيده العكاز والصليب وصعدوا به إلى دير الزعفران، وكانت الجموع الغفيرة من اكليروس وعلمانيين يحيطون بالجثمان إلى جانب الجنود الذين كانوا يسيرون بصفين وبنادقهم إلى أسفل، وفي الدير دفنوه إلى جانب البطريركين جرجس الموصلي وجرجس الحلبي، إذن، صرف البطريرك بطرس في ملبار أكثر من سنتين قضاهما في رحلات شاقة مستمرة على الرغم من كبر سنه وذلك حرصاً على مصلحة الكنيسة، فحجّم متى المحروم ونزع منه براءته عن طريق المحاكم وزار معظم الكنائس وأصلح الكثير من عادات الكهنة الذميمة بالإضافة إلى عادات غير مقبولة متغلغلة بين أفراد الشعب الهندي، وفي ١٥حزيران عام ١٨٧٦ عقد مجمعاً في ملنطرتي، وقسم الكنيسة إلى سبع أبرشيات ورسم لها المطارنة الكفوئين وفي عيد انتقال السيدة العذراء من عام ١٨٧٦ قدس الميرون، وشيد عدة كنائس ورسم الكهنة والشمامسة معيداً إلى أحضان الكنيسة معظم الذين كانوا قد انحازوا إلى متى المحروم، وبالاختصار أعتبره السريان مخلّصاً لهم، كل ذلك بسبب قلبه المتواضع واعتصامه بالرب فادينا وصدق محبته للكنيسة، وعاد إلى الشرق

الأوسط وله في ذمة المطران الهندي ديونيسيوس يوسف /١٨٠٠/ روبية وذمة الوجيهين كوريان وأيبور /٣٠٠٠/ روبية .

قال عنه المؤرخ الكنسي الهندي المعروف فيلبس ايدوديكل: «قبل قدوم البطريرك بطرس الرابع إلى ملبار كانت حالة الكنيسة الأرثوذكسية في هذه البلاد تؤذن بالتلاشي، ولكن البطريرك تمكن بمدة تقل عن السنتين أن يثبت هذه الكنيسة القديمة ويوسع نطاقها ويجدد بناءها على أساس متين . إنه كان يجهل هذه البلاد وعاداتها، كما إنه لم يكن يعرف كلمة واحدة من اللغة الإنكليزية، ومع ذلك فقد تمكن وحده من قهر هذه الصعوبات كلها بل كانت له قوة سماوية ليهز الامة بأسرها، فعندما نتذكر الصعوبات الشديدة التي اكتنفته من كل صوب والغلبة العظمى التي نالها، لا يسعنا إلا أن نصرّح بأنه فريد بين العظماء الذين ظهروا في الكنيسة السريانية في عصور التاريخ ولئن مرت سنوات على مغادرته هذه البلاد وانقضت سنوات على رقاده فإن ذكرى قدومه وأعماله هنا تظهر أمام أذهان الناس كأنها البارحة، فسيظل اسم سيدنا مار اغناطيوس بطرس الرابع بطريرك انطاكية خالداً عاطراً كلما ظلت

الكنيسة الملبارية ثابتة إلى الأبد ".

وفيما يلي أسماء أهم الكنائس التي بناها :

١- كنيسة والدة الإله في الموصل .

٢- كنيسة والدة الإله في ديركه .

٣- كنيسة مار جرجس في سويرك .

٤- كنيسة مار جرجس في معسرته .

٥- كنيسة مار جرجس في قلعتمرا .

٦- كنيسة مار يوحنا في ويرانشهر

٧- دار مطرانية في كنيسة مار يعقوب بنصيبين .

واشترى قرية بكيّري مع طاحونة، وكانت تزود دير الزعفران بأكثر من خمسمائة ولجك حنطة في كل موسم .

نفعنا الرب بشفاعته المقبولة وطيّب ثراه .

كتابان قادمان للمولف

١ - الإنجيل كما فسره السريان.

ليس كل الإنجيل وإنما نقاط فيه صعبة تحتاج إلى توضيح وذلك من وجهة نظر سريانية أي بحسب تفسير آبائنا الذين اشتهروا بتفسير الكتاب المقدس .

٢- مذكرات المجدلية.

كتاب خيالي يصور المجدلية وهي تتحدث إلى السيدة العذراء فتكشف لها بعض جوانب خافية من حياة الرب، من طفولته ولغاية صعوده إلى السماء .

الفهرس

❖ المقدمة ٥

١ - البطريرك متى ١٥

٢ - البطريرك يونان الموصلي ٢٥

٣ - البطريرك جرجس الخامس الحلبي ٢٩

٤ - البطريرك الياس الثاني الموصلي ٤١

٥ - البطريرك يعقوب الثاني ٤٩

٦ - البطريرك بطرس الرابع ٥٩

بطاركة السريان

في القرن التاسع عشر

ܦܛܪ̈ܝܪܟܐ ܣܘܪ̈ܝܝܐ ܒܕܪܐ ܬܫܥܣܪܝܐ

بقلم

المطران إفرام برصوم

بيروت عام ٢٠٠٢